وثمانية بميافارقين ودفن بها رحمه الله ورايت في المجاميع قال الوزير ابو القسم المغربي
رايت الخطيب ابن نباتة في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال دفع لي رقعة وفيها
سطران بالاحمر وهما

قد كان امن لك من قبل ذا ... واليوم اضحى لك امنان
والصفح لا يحسن عن محسن ... وانما يحسن عن جاني

قال فانتبهت من النوم وانا اكررهما ونباتة بضم النون وفتح البا الموحدة وبعد الالف تاء مثناة من فوقها مفتوحة ثم هاء ساكنة والحذاقي بضم الحاء المهملة وفتح الذال المعجمة وبعد الالف قاف هذه النسبة الى حذاقة بطن من قضاعة وقال ابن قتيبة في كتاب اخبار الشعرا قبيلة من اياد والله اعلم ابو علي عبد الرحيم بن القاضي الاشرف بهاء الدين ابي المجد علي بن القاضي السعيد ابي محمد بن الحسن بن المفرج بن الحسين بن احمد بن المفرج بن احمد اللخمي العسقلاني المولد المصري بالقاضي الفاضل الملقب مجير الدين وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى وتمكن منه غاية التمكن وبرز في صناعة الانشا وفاق المتقدمين وله فيه الغرايب مع الاكثار اخبرني احد الفضلا الثقات المطلعين على حقيقة امره ان مسودات رسايله في المجلدات والتعليقات في الاوراق اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في اكثرها قال العماد الكاتب الاصبهاني في كتاب الخريدة في حقه رب القلم والبيان واللسن واللسان والقريحة الوقاده والبصيرة النقاده والبديهة المعجزة والبديعة المطربة والفضل الذي ما سمع في الاوائل بمن لو عاش في زمانه لتعلق بغباره او جرى في مضماره فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرايع ورسخت بها الصنايع يخترع الافكار ويفترع الابكار ويطلع الانوار ويبدع الازهار وهو ضابط الملك باراييه ورابط السلك بآلائه ان شا انشا في يوم واحد بل في ساعة ما لو دون لكان لاهل الصناعة خير بضاعه اين قس عند فصاحته واين قيس في مقام حصافته ومن حاتم وعمرو في سماحته وحماسته واطال القول في تقريضه ومن كلامه رسالة لطيفة كتبها على يد خطيب عيذاب الى صلاح الدين يشفع له في توليته خطابة الكرك وهي ادام الله سلطان الملك الناصر وثبته وتقبل عمله بقبول صالح وانبته واخذ عدوه قايلا او بيته وارغم انفه بسيفه وكتبه خدمة المملوك هذه واردة على يد خطيب عيذاب ولما نبا به المنزل عنها وقل عليه المرفق فيها وسمع بهذه الفتوحات التي طبق الارض ذكرها ووجب على اهلها شكرها هاجر من هجير عيذاب وملحها ساريا في ليلة امل كلها نهار فلا الملتمس وهو قريب ونزع من مصر الى الشام ومن عيذاب الى الكرك وهذا عجيب والفقر سايق عنيف والمذكور عايل ضعيف ولطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف والسلام وله من جملة رسالة في صفة قلعة شاهقة ولعله يدنو منها ويقال انها قلعة كوكب وهذه القلعة عقاب في عقاب ونجم في سحاب وهامة لها الغمامة عمامة وانملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه وملحه ونوادره كثيرة وقوله كان الهلال لها قلامة اخذ من قول عبد الله بن المعتز

ابياته وفي ترجمته وهو

ولاح ضوء هلال كان يفضحنا ... مثل القلامة قد قدت من الظفر

وابن المعتز اخذه من قول عمرو بن قميئة وهو

كان ابن مزنتها جانحا ... فسيط لدى الافق من خنصر

والفسيط بفتح الفا وكسر السين المهملة قلامة الظفر ومن كلامه في اثنا رسالة وقد كبر المملوك فقد وهنت ركبتا وضعفت ظنباه وكتبت لام الف عند قيامه رجلاه ولم يبق من نظره الا استشفافه ومن حديثه الا خرافه وله في النظم اشيا حسنة منها ما انشده عند وصوله الى الفرات في خدمة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى وهو يتشوق نيل مصر

بالله قل للنيل عني انني ... لم اشف من ما الفرات غليلا
وسل الفواد فانه لي شاهد ... ان كان جفني بالدموع بخيلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينة ... واعيذ صبرك ان يكون جميلا

وكان كثيرا ما ينشد لا مكنسه وهو ابو طاهر اسماعيل بن محمد بن الحسين القرشي الاسكندراني

واذا السعادة احرستك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن امان
فاصطد بها العنقا فهي حبالة ... واقتد بها الجوزا فهي عنان

ومن المنسوب الى القاضي الفاضل قوله

عتبا قلب فيه طرف ترقبي ... فعسى يكون وراه الاعتاب

ومن شعره ايضا

بتنا على حال يسر الهوى ... وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له ... ان غبت عنا دخل الصبح

قلت وقد نظمت هذا المعنى في دوبيت وهو

ما اطيب ليلة مضت بالسفح ... والوصف لها يقصر عنها شرحي
اذ قلت لها بوابنا انت متى ... ما غبت نخاف من دخول الصبح

وشعره كثير وكانت ولادته في يوم الاثنين خامس عشر جمادى الاخرة سنة تسع وعشرين وخمسمايه بعسقلان وكان الملك العزيز بن صلاح الدين يميل الى القاضي الفاضل في حياة ابيه فاتفق ان العزيز هوي قينة شغلته عن مصالحه وبلغ ذلك والده فامره بتركها ومنعها من صحبته فشق ذلك عليه وضاق صدره ولم يجسر ان يجتمع بها فلما طال ذلك بينهما سيرت له مع بعض الخدم كرة عنبر فكسرها فوجد في وسطها زر ذهب ففكر فيه فلم يعرف معناه فاتفق حضور الفاضل اليه فعرفه الصورة فعمل القاضي الفاضل في ذلك بيتين وارسلهما اليه وهما

اهدت لك العنبر معناهما ... زره هكذا مستترا في الظلام

فعلم العزيز انها ارادت زيارته في الليل وتوفي ابوه بمدينة بيسان فلهذا نسبوا اليها وفي ترجمة الموفق يوسف بن الخلال في حرف اليا صورة مبدا امره وقدومه الديار المصرية واشتغاله عليه بصناعة الانشا فلا حاجة الى ذكره هاهنا ثم انه تعلق بالخدم